

فجر القُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

إبراهيم الخليل



دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يوسف عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الانبياء ، قصص أنيَّرت وزيَّدت إشراقاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام
وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدَّمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَلَّا نَقْصُ عَظِيمُكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا تُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَدُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَلِيلَ اللَّهِ

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَبُ إِبْرَاهِيمَ وَسِيرَتُهُ

هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آزَرَ كَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ مِنَ الْإِخْوَةِ "نَاحُورُ" وَهَارَانُ وَقَدْ وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَابِلَ، أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ.

ثُمَّ هَاجَرَ "آزَرُ" وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ، بِصُحْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَزَوْجَتِهِ سَارَةَ، الَّتِي كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ، وَابْنِ أَخِيهِ لوطِ بْنِ هَارَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ سُكَّانُ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ آنَ ذَاكَ، يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَلِهَذَا كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ الَّتِي عَمَرُوهَا هَيْكَلٌ لِكَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ. فَكَانَ كُلُّ سُكَّانِ الْأَرْضِ كُفَّارًا، سِوَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَامْرَأَتِهِ سَارَةَ، وَابْنِ أَخِيهِ لوطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَعَمِلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُنْذُ صِغَرِهِ عَلَى مُحَارَبَةِ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ حَتَّى اسْتَطَاعَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشُّرُورَ، وَيُبْطِلَ الضَّلَالَ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَهُ رَسُولًا،

بَعْدَ أَنْ آتَاهُ رُشْدَهُ فِي صِغَرِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ ^(١).

عِبَادُ الْكَوَكِبِ

وَكَانَ الْإِنْسَانُ بِسَبَبِ جَهْلِهِ وَضَلَالِهِ، قَدْ رَأَى تِلْكَ الْأَجْرَامَ
السَّمَاوِيَّةَ، وَالْكَوَكِبَ الْمُنِيرَةَ، فَخَافَهَا، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ عَبَدَهَا
ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا آلِهَةٌ، تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، فَبَيَّنَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ
هَذِهِ الْكَوَكِبَ لَا تَصْلُحُ لِلْأُلُوهِيَّةِ، لِأَنَّهَا مِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ
مَخْلُوقَةٌ، تَظْهَرُ حِينًا، وَتَخْتْفِي حِينًا آخَرَ، وَالرَّبُّ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ
ذَلِكَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَمَنْ عَايَنَتْهُ آيَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

وَأَعْلَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَأَنَّهُ
قَدْ آمَنَ بِالَّذِي قَدْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ^(٢)
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ^(٣)

(١) سورة الأنبياء (٥١).

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ^(١) قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ
 مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
 قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بَرَىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَيَّ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ خَاشِعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

دعوته لأبيه

كَانَ "آزَرُ" وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمَّنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
 وَالْأَوْثَانَ، وَلِهَذَا بَدَأَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِدَعْوَةِ أَبِيهِ
 إِلَى الْإِيمَانِ لِأَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِإِخْلَاصِ النَّصِيحَةِ لَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا
 يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢﴾ يَتَّبِعْ إِلَيَّ قَدْ جَاءَ مِنِّي الْعِلْمُ مَا لَمْ يَأْتِكَ
 فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٣﴾ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ﴿١٤﴾ يَتَّبِعْ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
 وَلِيًّا﴾ (٣).

فَدَعَاهُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ

(١) أَفَلَ: غَابَ.

(٢) سورة: الأنعام (٧٥ - ٧٩).

(٣) سورة: مريم (٤١ - ٤٥).

الْأَوْثَانِ، الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَالَّتِي كَانَ النَّاسُ يَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ لِعَبْدٍ أَنْ يَخْلُقَ إِلَهَهُ، أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ أَقْرَبَ إِلَى الْمَجَانِينِ الَّذِينَ مَسَّ عُقُولُهُمُ الْخَبَلُ، فَكَانُوا كَالْأَعْمَى الَّذِي يَخْبِطُ خَبْطَ عَشَوَاءَ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ. لَكِنَّ أَبَاهُ لَمْ يَمْتَثِلْ لِنَصِيحَةِ ابْنِهِ وَلَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُ بَلْ رَاحَ يُهْدِّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ، إِنَّ هُوَ اسْتَمَرَّ فِي دَعْوَتِهِ تِلْكَ، وَفِي إِذْنَاءِ الْآلِهَةِ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَدْعِ الدَّعْوَةَ تِلْكَ، وَيَعُودَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَلَسَوْفَ يَرْجُمُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (١).

أَمَّا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يُغْلَظْ فِي الْقَوْلِ مَعَ أَبِيهِ، بَلْ كَانَتْ مُحَاوَرَتُهُ لَهُ تَنْمُّ عَنْ لُطْفِهِ وَتَأْدِيبِهِ مَعَ أَبِيهِ، بَلْ تَكْشِفُ عَنْ حُبِّهِ لَهُ وَاحْتِرَامِهِ، وَلِهَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ الْجَاوِدِ الْكَافِرِ:

﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (٢) ﴿وَاعْتَرِ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (٣).

(١) سورة: مريم (٤٦).

(٢) حفييا: أي باراً لي يجيب دعوتي.

(٣) سورة: مريم (٤٧، ٤٨).

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَارًّا بِأَبِيهِ، إِذْ لَمْ يُؤْذِهِ وَلَمْ يُصِبهُ
بِأَذَى، أَوْ مَكْرُوهِ، بَلِ اسْتَغْفَرَ لَهُ كَمَا وَعَدَهُ، وَلَمَّا عَرَفَ إِبْرَاهِيمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ وَالِدَهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(١).

عَبْدُهُ الْأَصْنَامِ

وَأَمَّا أَهْلُ بَابِلَ مِنَ الْكَلْدَانِيِّينَ، فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَكَانَ
وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ هَؤُلَاءِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

وَقَدْ أَنْكَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَوْمِهِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ،
وَحَقَّرَهَا وَسَخَّرَ مِنْهَا وَمِنْهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ:

(١) سورة التوبة (١١٤).

(٢) سورة الأنعام (٧٤).

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(١).

فَمَاذَا كَانَ رَدُّهُمْ وَحُجَّتُهُمْ؟ قَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَصْنَعُونَ مَا نَصْنَعُ فَنَحْنُ عَلَى سِيرَةِ آبَائِنَا سَائِرُونَ:

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(٢).

ثُمَّ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَاذَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ إِذَا لَقِيتُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ عَبْدْتُمْ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُجِيبُ:

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾^(٣) أَيَفْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾^(٥) ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾^(٦) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٧).

وَحَسِبَ الْكَافِرُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، يُمَارِحُهُمْ أَوْ يُلَاعِبُهُمْ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَفِيمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾.

(١) سورة الأنبياء / ٥٢ / عاكفون: خاضعون

(٢) سورة الأنبياء (٥٣).

(٣) سورة الصافات (٨٥ - ٨٧).

(٤) سورة الشعراء (٧٢ - ٧٤).

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا جَادًّا غَيْرَ مَازِحٍ،
فَالِهَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الَّذِي
يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ أَشْهَدُ.
﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّنَا لَسَمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾^(١) وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ
الشَّاهِدِينَ.

تَحْطِيمُ الْأَوْثَانِ

وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْعًا فِي قَوْمِهِ، وَبَيَّنَّ مَنْ
إِقْلَاعِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، قَرَّرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، أَنْ
يُحْطَمَ الْأَصْنَامُ، وَيَكْسِرَهَا فَانْتَهَزَ فُرْصَةَ خُرُوجِ الْقَوْمِ، إِلَى خَارِجِ
الْمَدِينَةِ لِيَحْتَفِلُوا بِعِيدِ لَهُمْ، يَحْتَفِلُونَ بِهِ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَحَمَلَ
فَأَسَهُ وَانْجَبَهُ إِلَى بَهْوٍ عَظِيمٍ، وَضَعُوا فِيهِ آلِهَتَهُمْ، الَّتِي يَزْعُمُونَ،
فَوَجَدَ أَمَامَهَا أَنْوَاعًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ كَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى آلِهَتِهِمْ،
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا سَاخِرًا مُسْتَهْزِئًا:

﴿فَرَاغَ إِلَآءِ إِلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا نُنْطِقُونَ ﴿١٢﴾﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
بِالْيَمِينِ^(٢).

(١) فطرهن: خلقهن.

(٢) سورة الصافات (٩١، ٩٢، ٩٣). فراغ: ذهب في خفية.

ثُمَّ مَالٍ عَلَيْهَا بِفَاسِهِ وَحَطَّمَهَا وَاحِدًا تِلَوَ الْآخِرِ، وَأَبْقَى عَلَى كَبِيرِ
الْآلِهَةِ، لَكِنِّي يَشْهَدُ لِقَوْمِهِ إِنِ اسْتَطَاعَ، وَإِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ وَلَكِنْ يَسْتَطِيعُ
فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى بُطْلَانِ الْوَهْيِيِّهِمْ، وَحُجَّةٌ دَامِغَةٌ سَاطِعَةٌ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ
الْكَافِرَةِ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ
لِدَافَعَتْ عَنْ نَفْسِهَا عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرٍ:

﴿وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاً^(١) إِلَّا
كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

وَعِنْدَمَا عَادَ الْقَوْمُ مِنْ عِيدِهِمْ وَذَهَبُوا إِلَى مَعْبَدِهِمْ، لِيُقَدِّمُوا الطَّاعَةَ
لِآلِهَتِهِمْ، وَجَدُوهَا وَقَدْ تَهَاوَتْ عَلَى الْأَرْضِ مُتَحَطِّمَةً مُتَكَسِّرَةً. وَلَوْ
كَانُوا يَعْقِلُونَ لَأَذْرَكُوا بُطْلَانَ الْوَهْيِيِّهَا، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ وَخِفَةِ
عَقْلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَتِنَا؟ إِنَّهُ لَا شَكَّ مِنَ الظَّالِمِينَ.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِهِمْ لَقَدْ سَمِعْتُ فَتًى يَذْكُرُ آلِهَتَنَا بِسُوءٍ، يُدْعَى
إِبْرَاهِيمَ فَأَمَرَ الْقَوْمُ أَنْ يُخْضَرَ هَذَا الْفَتَى أَمَامَ النَّاسِ وَعَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ، لِيَسْمَعُوا مَا يَقُولُهُ وَيَرَوْا مَا سَيَحِلُّ بِهِ مِنَ الْعِقَابِ:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ

(١) جذاذا: حطاماً.

(٢) سورة الأنبياء (٥٧، ٥٨).

(٣) سورة الأنبياء (٥٩).

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١﴾.

وَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَقَفَ أَمَامَ النَّاسِ، مَرْفُوعَ
الْجَبِينِ، وَاثِقًا مِنْ نَصْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ تَهْمَةً تَحْطِئُ
أَصْنَافَهُمْ. عِنْدَهَا قَالَ سَاحِرًا مُتَهَكِّمًا مِنْهُمْ.

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٢﴾.

وَحِينَئِذٍ عَادُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ يَلُومُونَهَا، فَهُمْ الَّذِينَ تَرَكُوا أَوْلِيَانَهُمْ بِلا
حَافِظٍ أَوْ حَارِسٍ وَقَالُوا: كَيْفَ نَسْأَلُهَا وَهِيَ لَا تَنْطِقُ؟

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٣﴾.

فَعِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُسْتَغْرِبًا كَيْفَ
يَعْبُدُونَهَا إِذَا، وَهِيَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْطِقُ بِاعْتِرَافِهِمْ هُمْ: ﴿قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ أَفِى لَكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾.

(١) سورة الأنبياء (٦٠، ٦١).

(٢) سورة الأنبياء (٦٢ - ٦٥).

(٣) سورة الأنبياء (٦٤ - ٦٥).

(٤) أف: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر.

(٥) سورة الأنبياء (٦٦، ٦٧).

يا نارُ كوني برهاناً وسلاماً

وَلَمَّا ضَاقَتِ الْحِيلةُ بِهِمْ، وَسَدَّتْ أَمَامَهُمُ الْمَنَافِدُ، وَرَأَوْا أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَاضٍ فِي تَسْفِيهِ أَخْلَاقِهِمْ، وَالشَّخْرِيقِ مِنْ
أَلْهَتِهِمْ، وَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي لَنْ يَخْذُلَهُ أَبَدًا، أَصْدَرُوا
حُكْمَهُمُ الْجَائِرَ عَلَيْهِ. فَحَفَرُوا حُفْرَةً عَظِيمَةً، وَشَرَعُوا يَبْجَسُونِ
الْحَطَبَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ إِنْ شِئِيَ
عُوفِيَتْ^(١) مِنْ مَرَضِهَا، لِتَحْمِلَنَّ حَطَبًا، لِخَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ. وَفَوْقَ ثَمَّ
أَضْرَمُوا^(٢) فِيهَا النَّارَ فَعَلَتْ أَلْسِنَتُهَا، وَتَأَجَّجَتْ، ثُمَّ قِيدُوهُ وَالتَّوَهُ فِي
النَّارِ الْمُلْتَهَبَةِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ وَعِنْدَمَا صَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسَاطَتِهَا قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْخِجْرِ﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَسْفَلِينَ ﴿٣﴾.

وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) عوفيت: شفيت.

(٢) أضرموا: أشعلوا.

(٣) سورة الصافات (٩٧، ٩٨).

لَمَّا أَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ. وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ.

وَوَظَنَّ الْمُجْرِمُونَ الْكَافِرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ تَخَلَّصُوا مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَسُوا أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ رَبًّا يَحْمِيهِ، وَحَسَبُوا أَنَّهُمْ قَدْ انْتَقَمُوا لِأَلِهَتِهِمْ. إِلَّا أَنَّهُمْ بَاؤُوا بِفَشْلِ ذَرِيعٍ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَصَارُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ، الَّذِينَ سَتَكُوى جَبَاهُهُمْ بِنَارٍ حَامِيَةٍ، لَا يَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَلَا سَلَامًا، وَلَا تَكُونُ عَلَيْهِمُ النَّارُ بَرْدًا وَلَا سَلَامًا:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾.

نمرود الكافر

ادَّعى نمرودُ بْنُ كَنْعَانَ، مَلِكُ بَابِلِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ وَيُمِيتَ، فَتَصَدَّى لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدَعَاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَّا أَنَّ نُمْرُودَ، أَنْكَرَ الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَمَّا لَمْ يُفْلَحْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَدِّهِ رَغْمَ الْحُجَّةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي جَابَهَا بِهَا، عِنْدَمَا تَحَدَّاهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة الأنبياء (٦٨ - ٧٠).

عَزَّ وَجَلَّ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَن تَسْتَطِيعُ أَنَّ تَأْتِيَ بِهَا
مِنَ الْمَغْرِبِ؟ .

عِنْدَهَا وَقَفَ هَذَا الْمَلِكُ الضَّلِيلُ، مَذْهُوشاً مَبْهُوتاً، فَهُوَ لَنْ
يَسْتَطِيعَ فِعْلَ هَذَا، بَلْ هُوَ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ بَعُوضَةً يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ ^(١) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَبِرُ وَأُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِي - وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (٢) .

هجرته إلى بلاد الشام

تَرَكَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِلَادَهُ وَهَجَرَ قَوْمَهُ، مُتَوَجِّهاً
إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، إِذْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ، سِوَى ابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَزَوْجَتِهِ سَارَةَ، الَّتِي كَانَتْ عَاقِراً لَا تَلِدُ كَمَا سَلَفَ، وَأُثْنَاءَ
مُرُورِهِ بِمِصْرَ، أَهْدَاهُ مَلِكُهَا جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا "هَاجِرُ"، لَتَقُومَ عَلَى
خِدْمَةِ سَارَةَ. وَلَكِنَّ سَارَةَ رَغِبَتْ أَنْ تُزَوِّجَهَا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١) حاجَّ: ناظر وجادل.

(٢) سورة البقرة (٢٥٨).

عَالِيَا قَالَا إِنَّ الْوَلَدَ. وَتَمَّ الزَّوْاجُ وَحَمَلَتْ هَاجِرُ، ثُمَّ وَلَدَتْ فَجَاءَ
بِهَا الْوَلَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَإِذْ لَمَّا كَرِهَ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُتَوَكِّلٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٦﴾
وَوَدَّعَاكَ لَمْ يَسْخَقْ وَيَحْقُوبَ وَحَمَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي
الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾.

هَذَا كَلِمَةُ بَشَّرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنَّهُ سَيُرْزَقُ بِالْأَوْلَادِ مِنْ
نِسَاءِ السَّامِ، الَّتِي دُهْشَتْ وَاسْتَغْرَبَتْ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ وَأَنَا عَاقِرٌ
مُحْرِمٌ، وَزَوْجِي إِبْرَاهِيمُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَلَكِنَّهَا قُدْرَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
لَيْسَ بِهَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:

﴿وَإِذْ جَاءَتْ رُسُلُنَا^(١) إِبْرَاهِيمَ بِالبُّشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ
جَاءَهُنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَأَعْلَنَ لَهُنَّ خَبَرَهُنَّ ١٨﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خُشْيًا ١٩ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ٢٠ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا
بِإِسْحَاقَ ٢١ وَبِإِسْحَاقَ يَحْقُوبَ ٢٢ قَالَتْ يَتُوبَلَى أَنَّى هَذَا وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي
شَيْخٌ زَكِيٌّ هَذَا لَسْتُ بِعَجِيبٍ ٢٣ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ
مُكَرَّمٌ مَسْكُونٌ ٢٤ إِنَّكَ حَسْبُكَ رَبُّكَ ٢٥﴾.

١٦- ١٧- الملائكة.

١٨- ٢٠- الملائكة.
٢١- ٢٢- الملائكة.

بناء البيت العتيق

أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا،
يَكُونُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ يَحْجُّونَ إِلَيْهِ، وَيَعْبُدُونَ فِيهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،
وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ مَعَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ،
الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ كَافَّةً قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(١).

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، وَالنَّاسُ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، مِنْ كُلِّ
فَجٍّ عَمِيقٍ يُؤَدُّونَ شَعَائِرَ اللَّهِ وَشَعَائِرَ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٢) مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ^(٣).

وَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ الشَّرِيفُ، فِي أَشْرَفِ الْبِقَاعِ، وَفِي وَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ، فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ لِأَهْلِهِ بِالْبَرَكَاتِ وَالرِّزْقِ،
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا وَبَّخَطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة (١٢٧).

(٢) ببكة: اسم من أسماء مكة المكرمة.

(٣) سورة آل عمران (٩٦).

(٤) سورة العنكبوت (٦٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمَاءُ امْنَا يُجَوِّعَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾^(١).

وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ أَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يُعَلِّمُهُمْ وَيَهْدِيَهُمْ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ: فَبَعَثَ فِيهِمْ خَيْرَ أَنْبِيَائِهِ وَخَاتِمَهُمُ مُحَمَّدًا ﷺ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

* * * * *

(١) سورة القصص (٥٧).